











f 👽 🕩 🕢 @ Tafsircenter

ریموند فارین Raymond K. Farrin

بنية سورة النساء ومركزية قيمة العدل

ترجمة إسلام أحمد







المعلومات والآراء المقدَّمة هي للكتّاب، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الموقع أو أسرة مركز تفسير



نرجمات

نبذة تعريفية بريموند فارين Raymond K. Farrin:

ريموند فارين، أستاذ الدراسات الإسلامية بالجامعة الأمريكية بالكويت، مشتهر بكتابه:

Structure and Qur'anic Interpretation: A Study of Symmetry and Coherence in Islam's Holy Text

دراسة التناظر والتماسك في نصّ الإسلام المقدّس، ١٤٠٢م.

ترجمات

مقدمة(١):

يُعَدُّ الاتجاه السانكروني (التزامني) من أهم الاتجاهات المتنامية على ساحة الدرس الاستشراقي المعاصر، ويهتم هذا الاتجاه بالأساس بقراءة القرآن كنصّ، فيدرس تركيبه ونظامه ويحاول الكشف عن البناء الخاصّ له على مستوى الموضوعات والأساليب والتراكيب اللغوية والبلاغية، ويعدّ ريموند فارين واحدًا من أعلام هذا الاتجاه.

وتأتي أهمية فارين في كونه واحدًا ممن اهتموا بالتوسّع في تطبيق المناهج البنيوية في دراسة السور القرآنية على السور المدنية الطويلة، ولم يقفوا بها عند دراسة السور المكية، ويَعتبر فارين كما يظهر معنا في هذه المقالة؛ أن دراسة السور المدنية تكشف كونها منظومة وَفق بناء تناظري كبير شبيه بنمط البناء الثلاثي المعتاد في تحليل السور المكية، حيث يَنظر إليه كتوسعة لهذه البنية الثلاثية.

⁽١) قام بكتابة المقدّمة، وكذا التعريف بالأعلام والتعليقات الواردة داخل الترجمة، الباحثان: خليل محمود اليماني، وطارق حجي، وقد ميزنا حواشيهما عن حواشي فارين بأنْ نصصنا بعدها بـ(قسم الترجمات).

في هذه المقالة يحلّل فارين بنية سورة النساء، ويَعتبر أنها منظومة وَفق البناء المحوري؛ حيث تتكوّن من خمسة أقسام متناظرة حول قسم مركزي، ويحاول تحليل هذه الأقسام كاشفًا عن كونها تدور حول قيمة مركزية هي قيمة العدل.

كذلك يشير فارين لخلافه مع إصلاحي وزاهنيسر حول بداية القسم الثاني من السورة، ويحاول كذلك الاستفادة من بعض الطروحات المعاصرة حول السور المدنية، مثل طرح نويفرت عن مركزية (النبي) ضمن هذه السور، على خلاف السور المكية المتأخّرة التي يظهر فيها أحد الأنبياء السابقين باعتباره مثالًا وقدوة للنبيّ، وهذا ضمن رؤيتها العامة عن بناء القرآن للأمة الإسلامية الناشئة وموضعتهم في التاريخ الكتابي.

يمثل الاتجاه التزامني في قراءة القرآن بكلّ تنوّعاته المنهجية أحد الاتجاهات المركزية في الدراسات الغربية المعاصرة للقرآن؛ لذا تمثّل المعرفة بأعلامه خطوة مهمّة في سبيل مثاقفة منهجية مع هذه الدراسات.

ترجمات



١. مقدمة:

في حين أنّ تماسُك السُّور المكيّة القصار أمرٌ أقرّ به الباحثون [في الدراسات القرآنية] منذ أمدٍ طويل، فإنّ هناك في الآونة الأخيرة اهتمامًا بتناوُل أمثلة على تماسُك السور المدنية الطّوال أيضًا. ومِن أبرز الكتب في هذا الصدد كتابٌ لميشيل كويبرس (Michel Cuypers) صدر في العام ٢٠٠٩م

(١) العنوان الأصلي للمقالة هو: Sūrat al-Nisā' and the Centrality of Justice

وقد نشرت في: . Al-BayĀn – Journal of Qur'Ān and ḤadĪth Studies 14 (2016) 1-17.

(٢) ترجم هذه المقالة، إسلام أحمد، مترجم، له عدد من الأعمال المنشورة.

(۳) میشیل کو یبرس (Michel Cuypers):

ميشيل كويبرس هو رجل دين كاثوليكي، من أتباع شارل دو فوكو، عاش في مصر منذ العام ١٩٨٩ كعضو في المعهد الدومينيكي للدراسات الشرقية (IDEO)، وتخصّص في الدراسة الأدبية للنصّ القرآني، لا سيما فيما يتعلّق بتركيبه وبعلاقاته النصّية مع الأدب المقدّس المتقدّم تاريخيًّا.

من أهم أعماله:

La Composition du Caran. Nazm al-Qur'ān, Paris, Gabalda, 2012. في نظم القرآن، وهو مترجم للعربية، ترجمه: عدنان المقراني وطارق منزو، وصدر عن دار المشرق،

لبنان، ۱۸ ۲۰۱۸.

Le Festin, une lecture de la sourate al-Mā'ida, Lethielleux, 2007.

في نظم سورة المائدة: نظم آي القرآن في ضوء منهج التحليل البلاغي، وهو مترجم للعربية، ترجمه: عمرو عبد العاطي صالح، وصدر عن دار المشرق عام ٢٠١٦.

=



The Banquet: A Reading of the Fifth Sura of the) بعنوان: $(Qur^2an^{(1)})$ وفيه تناوَل كويبرس البناء العام المحوري لسورة المائدة.

له بعض الدراسات المترجمة على موقع مركز تفسير:

البلاغة الساميّة في القرآن، ترجمة: خليل محمود.

الكتاب المقدّس والقرآن؛ نسق أدبي واحد، ترجمة: عبير عدلي.

قراءة بلاغية وتناصّية لسورة الإخلاص، ترجمة: عبير عدلي.

مقارنة بين التحليل البلاغي والنقد التاريخي لجون وانسبرو وعونتر لولينغ، سورة العلق أنموذجًا، ترجمة: خليل محمود. (قسم الترجمات).

(1) Cuypers, The Banquet: A Reading of the Fifth Sura of the Qur'an (Miami: Convivium, 2009).

Raymond K. Farrin, Structure and Qur'anic Interpretation: A Study of Symmetry and Coherence in Islam's Holy Text (Ashland: White Cloud, 2014), 9-32;

Farrin, "The Pairing of Sūras 8-9," in *Studi del quarto convegno RBS: International Studies on Biblical & Semitic Rhetoric*, ed. Roland Meynet and Jacek Oniszczuk (Rome: Gregorian & Biblical Press, 2015), 245-264;

Yaniss Warrach, "Analyse rhétorique de la sourate de la Lumière (24)," in *Studi del quarto convegno RBS*, 265-281.

وقارن هذا ببنية سورة مدنية من قصار السور، وهي سورة الممتحنة، التي تناوَلها كارل إرنست بالتحليل، انظر:

Carl W. Ernst, *How to Read the Qur'an: A New Guide, with Select Translations* (Chapel Hill: University of North Carolina Press, 2011), 164-166.

Angelika Neuwirth, *Studien zur Komposition der mekkanischen Suren* (Berlin: de Gruyter, 1981).

نرحمات

ولكن قد يختلف الباحثون -بالطبع- في بعض النقاط، من قبيل تحديد أقسام السور (٢)، وبالتأكيد من الممكن أن يكون هناك تفاوُتُ في فهمنا لها. وبالتالي، يبدو أن هناك إجماعًا متزايدًا بين الباحثين على أن السور الطوال -تمامًا كالقصار التي نزلَت أولًا- قد أتتُ آياتُها وَفق مبدأ التناظر. وعلى وجه التحديد،

(۱) قام المستشرق البلجيكي بتحليل سورة المائدة وبعض السور الأخرى من خلال منهج التحليل البلاغي، وهذا المنهج استخرجه دارسو الكتاب المقدّس من خلال تحليلهم لنَظْم نصوص الكتاب المقدّس، حيث رأوا أنفسهم أمام بلاغة جديدة تقوم على مبدأ التناظر في تركيب النصوص وبنائها ولا تسير وَفق نسق البلاغة الخطية المعروفة والشائعة التي تبدأ بمقدّمة فموضوع فخاتمة، ويرى كويبرس أنّ القرآن الكريم ترجع طريقة نَظْمِه لذات المبادئ البلاغية (البلاغة الساميّة) ضمن منهج التحليل البلاغي، أي أنّ القرآن منظوم وَفق مبدأ التناظر، وأنّ صور التركيب التي ذكرها المنهج حاضرة في القرآن؛ كالبناء المحوري والمتوازي وغير ذلك. لمزيد تعرُّف على طرح كويبرس، يُراجع الترجمات التي نُشرت على الموقع له مما ذُكر في حاشية التعريف به. (قسم الترجمات).

(٢) في هذا السياق يمكن مطالعة دراسة ماريانا كلار: «مقاربات نقد نصية لبنية السورة القرآنية»، ترجمة: د/ حسام صبري، ومحمود نجاح، منشورة ضمن ترجمات ملف (الاتجاه التزامني) على قسم الاستشراق بموقع تفسير، حيث تقارن كلار بين عدد من البنى المقترحة للسور القرآنية من قِبَل روّاد هذه الاتجاه: ميشيل كويبرس، نيل روبنسون، يموند فارين، زاهنيسر. كذلك دراسة آدم فلاورز (إعادة النظر في النوع الأدبي للقرآن)، ترجمة: أمنية أبو بكر، ضمن الترجمات المنوّعة على قسم الاستشراق بموقع تفسير، والتي تتعرّض لإشكال عدم الاتفاق على تحديد أقسام السور، وحيث يرجع هذا لما يعتبره غياب التحديد الدقيق لمصطلحات القسم والمقطع وغيرها من مصطلحات أساسية في الدراسة البنيوية للنصّ، وكذلك لغياب دراسة دقيقة للنوع الأدبي القرآني. (قسم الترجمات).

ترجمات

قد نجد أن لهذه السور المدنية بنية تدور حول مركزٍ ما (كما في حالة أ-ب-أ" أو حالة أ-ب-ب" - أ") وتضيف هذه الدراسة مثالًا آخر، فتوضِّح أن سورة النساء، بالمثل، تأتي في صيغة حلقية؛ إِذْ تتكوّن من خمسة أقسام منظومة وفقًا للبناء المحوري المتناظر. إضافةً إلى ذلك، توضِّح الدراسة أنَّ هذه البنية تسترعي الانتباه إلى الموضوع الرئيس في السورة؛ وهو العدل.

قبل البدء في تحليلنا للسورة، من المفيد استدعاء السياق بإيجاز. لقد نزلت سورة النساء في أعقاب تلك الهزيمة الكبيرة التي لحقت بالمسلمين في غزوة أُحُد في العام الثالث للهجرة (٦٢٥م)، وفيها قُتِل عددٌ كبيرٌ من جيش المسلمين (١). بعد تلك الغزوة صارت أراملهم وأيتامُهم في وضع حَرِج، وواضحٌ أنّ بعض المقاتِلين العائدين وآخرين في المدينة قد انتقلوا مباشرةً

⁽١) حدّد تيودور نولدكِه (Theodor Nöldeke) وقتَ نزول السورة بين عامَي ٣- ٤هـ/ ٦٢٥- ٢٢٦م. انظر:

Nöldeke, Friedrich Schwally, Gotthelf Bergsträsser, and Otto Pretzl, *The History of the Qur'ān*, ed. Wolfgang H. Behn, (Leiden: Brill, 2013), 158.

وللاطلاع على تناوُلٍ للغزوة، انظر: ابن هشام، السيرة النبوية (بيروت: دار ابن حزم، ٢٠٠١م)، ص٣٧٦– ٤٣١.

[[]كتاب نولدكِه مترجَم إلى العربية بعنوان: تاريخ القرآن في ترجمتين، هما: ترجمة الدكتور/ جورج تامر وتحقيقه، الصادرة عن مؤسسة كونراد- أدناور، عام ٢٠٠٤م. وترجمة الدكتور/ رضا محمد الدقيقي، التي ضمَّنها قراءةً نقدية للكتاب، وصدرت عام ٢٠١٠م، عن وزارة الأوقاف القطرية بالتعاون مع دار النوادر]. [المُترجِم].



نرجمات

مُطالبين بهؤلاء الأفراد إلى جانب ممتلكاتِهم. وتمثّل السورة تدخُّلًا [إلهيًّا] في هذا الموقف، فحفظت هؤلاء المهضومين، وعالجَت مسائل أخرى ذات صلة، فوضعت -بذلك- قواعد عامة لجميع الأزمنة والأمكنة.

٢. تحليل بنيوي:

هنا سنناقش الأقسام الخمسة كلَّا على حِدة، ونبيِّن تماسُكها العام، ثم نُعقِب هذا بخاتمةٍ تحتوي على تعليق أخير.

١٠٢. القسم «أ» (الآيات ١-٤٢): العدل والمُعامَلة بالمِثْل:

تُستهل السورة بآية تدعو الناس إلى أن يتقوا الله الذي خلقهم ﴿مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَق مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾. وبالتالي، فمنذ بداية السورة نجدها تشير إلى المساواة بين الجنسين؛ إِذْ تُشير إلى التزاوج لا النوع الاجتماعي gender [ذكورة وأنوثة]. وكما أشارت أمينة ودود، فإن «الله لم يكن أبدًا في تدبيره أن يبدأ خلق البشر بشخصٍ ذكر... [فالقرآن] لا ينص حتى على أنّ الله قد بدأ خلق البشر بـ(نَفْس) آدم، الرجل... فالزوجيّة، إذن، سمة لازمة للأشياء المخلوقة»(۱). والحقيقة أن ثنائية الذّكر والأنثى تظهر في ثنايا

⁽¹⁾ Amina Wadud, Qur'an and Woman: Rereading the Sacred Text from a Woman's Perspective (Oxford: Oxford University Press, 1999), 19-21.

اختلف في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، فهناك مَن رأى أنّ (مِن) تبعيضية -وهو قول الجمهور-، وهو ما وضّحه ابن عاشور بقوله: «ومعنى التبعيض أنّ حواء خُلِقت مِن جزء مِن آدم. قيل: مِن بقية الطينة التي خلق منها آدم. وقيل: فُصلت قطعة مِن ضلعه، وهو ظاهر الحديث الوارد في الصحيحين». وذهب بعضهم إلى أن المعنى: خلق منها زوجها، أي: من نوعها وجنسها، كقوله تعالى: ﴿لَقَدُ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنَ أَنفُسِهِمْ ﴾، ورأوا أنّ الأحاديث التي تفيد بخلق حواء من ضلع أعوج تأتي على المجاز لا الحقيقة وأنّ غرضها التمثيل لطبع المرأة والتعامل معه لا غير، وكذلك بينوا

القرآن؛ إِذْ تأتي بصيغة الإفراد «ذَكَر» -و «أنثى» في المقابل - في حوالي ١٢ مرة في الكتاب، أي ٢٤ مرّة في تلك الآيات؛ بينما هناك ١٢ إشارةً إلى الأرحام التي يُخلَق فيها ذلك الذَّكر وتلك الأنثى، كما لحظت الكاتبة الكويتية نزيهة الدُّخان (۱). فنسبة ١: ١، التي تؤكّد على المساواة، إلى جانب الإشارة إلى وحدة الأصل، هي نسبةٌ واردة في هذه الآية أيضًا، بصيغة: ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءَ﴾، ومن خلال الإشارة إلى (الأرحام).

أمّا الآيات: ٢- ١٢، وهي الوسطى من هذا الجزء الأول (فالقسم «أ» ينقسم إلى ثلاثة أجزاء: ١- ١٤، ١٥ - ٢٨، ٢٩ - ٢٤)، فتقدّم بعضَ التعاليم حول مسألة المواريث. إِذْ تنصّ على إعادة أموال الأيتام إليهم (في الوقت الملائم)، وألّا يأكلَ الأوصياءُ أموال اليتامي أو يخلِطوها إلى أموالهم وثرواتهم الشخصية، ليحتفظوا لاحقًا بـ(الطيّب) منها، ويردّوا إليهم الشيء (الخبيث). فالاستيلاء على أموال هؤلاء اليتامي هو -كما حذّرت الآية - إثمٌ كبيرٌ. وفي هذا السياق، سُمِح بتعدّد الزوجات حتى أربع زوجات. وهذا قد يُفْهَم في حالة أن

أنها تتكلّم عن المرأة عمومًا لا خلق حواء خصوصًا. وبغضّ النظر عن دائرة الترجيح بين القولين مما لا يعنينا الخوض فيه، فإنّ القول الأول ليس فيه تنقيص للمرأة كما يُتصوّر ولا امتهان لها ولا لجنسها. (قسم الترجمات).

⁽١) نزيهة محمد علي الدخان، فاتّبعوه (الكويت: منشورات ذات السلاسل، ٢٠١٤م)، ص٢٦.

يخشى الرجل ألّا يعدِل في وصايته على فتاة يتيمة؛ ولكن هذا التعدّد أُبيح شريطة العدل بين الزوجات (۱). وفي ضوء الآية السادسة، التي تأمر الأوصياء قائلةً: ﴿وَالْبَتَلُواْ ٱلْمَيَّكِمَىٰ حَقَىٰۤ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسَتُم مِّنْهُمْ رُشُدَا فَٱدْفَعُواْ إِلَيْهِمْ وَوَابْتَلُواْ ٱلْمَيَّكِمِىٰ حَقَىٰ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسَتُم مِّنْهُمْ رُشُدَا فَٱدْفَعُواْ إِلَيْهِمُ أَمُولَهُمْ ، يمكن للمرء أن يرى ابتداءً أن الفتيات اليتيمات لا بدّ أن يصلْنَ إلى سنّ الرشد. ففي ذلك السنّ، يكون على الأوصياء إعادة تلك الأموال إلى الفتيات اليتيمات، فإن لم يستطيعوا الإنصاف والعدل، يمكنهم الزواج بهنّ؛ ليكون بإمكانهن وهنّ زوجات الانتفاع بتلك الأموال. الأمر الثاني الذي ليكون بإمكانهن وهنّ زوجات الانتفاع بتلك الأموال. الأمر الثاني الذي يلحظه المرء هو أن النصّ الوارد عن التعدّد في الآية الثالثة يتعلّق بأموال الفتيات اليتيمات، في حالةٍ محدَّدة كنَّ فيها كثيرات العدد وبحاجة إلى الرعاية، وليس تعددًا لاتّخاذ المزيد من الزوجات إرضاءً للذات وإشباعًا للشهوة (۱). وبالتالى تعددًا لاتّخاذ المزيد من الزوجات إرضاءً للذات وإشباعًا للشهوة (۲). وبالتالى

⁽١) عند النظر إلى المحيط الاجتماعي في المدينة، قد يتضح لنا أن إعطاء الأموال والممتلكات للنساء مثلً خطوةً صعبة على الرجال؛ فقد كانت العادة ألّا يكون للمرأة حقّ في الميراث، كما سنشير لاحقًا. ويتضح أيضًا أنه في مثل هذا الوضع يكون الزواجُ من الفتيات اليتيمات -بما يمنحهن حقًا في الانتفاع بتلك الأموال- بديلًا مُحتمَلًا.

⁽٢) انظر أيضًا كلام أمينة ودود حول الآية الثالثة من السورة، إِذْ تقول: «هذه الآية عن التعامل مع الأيتام. فبعض الأوصياء الذّكور، المسؤولين عن التصرُّف في أموال بعض الفتيات اليتيمات لم يكن بإمكانهم النأي عن بعض الجور في تعاملهم مع تلك الأموال (الآية الثانية من سورة النساء). ومن الحلول المقترَحة لتلافي سوء الإدارة الزواجُ بالفتيات اليتيمات. فمن جهة، قصر القرآن التعدد بأربع زوجات، ومن جهةٍ أخرى فالمسؤولية الاقتصادية عن الإنفاق على الزوجة ستُحدِث توازنًا مع تمكُّن هذا

فالآيتان الرابعة والخامسة، إضافة إلى السادسة المُشار إليها آنفًا، تنصّان على دفع المهور ورعاية اليتيمات كما لو كنَّ أبناء الوصيّ على أموالهن، والاهتمام بشؤون الأشخاص الآخرين من ذوي الحاجة إن حضروا في وقت تقسيم الميراث. وقد نُشير أيضًا إلى أن الآية السابعة أتت بإصلاحات واسعة، حين أكّدت على أن للمرأة الحقّ في الميراث، بينما كانت العرب في عهد ما قبل الإسلام لا تعطي ميراثًا إلا للرجل^(۱): ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَ مِنْهُ أَوْ كَثُرُ نَصِيبًا مَّفُرُوضًا﴾.

وتأتي الآيتان: ١٣- ١٤، لتكونا ختام الجزء الأول [من هذا القسم]، وتؤكّدان على أن هذه الأوامر السابقة هي ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِع ٱللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلُهُ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ وَيُدْخِلُهُ نَارًا ﴾. وبالتالي، فمن خلال النظر إلى هذا الجزء الأول، يتضح لنا أنه يُستهلّ

الوصيّ/ الزوج من التصرُّف في أموال الزوجة اليتيمة من خلال مسؤوليته عن إدارة أموالها [إلى أجل]. وبالتالي، فمن الواضح تمامًا أن هذه الآية تتناوَل مسألة العدل: التعامُّل بعدل، وإدارة الأموال بعدل، والعدل، والعدل مع الزوجات»...Wadud, Qur'an and Woman, 83.

⁽۱) الطبري، تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: صلاح عبد الفتّاح الخالدي، (۱) دمشق: دار القلم، ۱۹۹۷م)، (۲/ ۵۱۲).

بالأمر بتقوى الله، الذي خَلَق الناسَ على أساسٍ من المساواة، وبأن يحفُل الناسُ بعلاقات الأرحام والقرابة، وينظروا إليها بعين التوقير والإجلال؛ في حين يأتي في منتصف الجزء توجيهات وتشريعات حول الميراث، استجابةً للوضع الذي كان قائمًا حينها في المدينة؛ ويُختَتَم الجزء بالإشارة إلى المثوبة والعقوبة المُنتظرة في الآخرة تبعًا لما يفعل الإنسان في هذه الدنيا.

أمّا الجزء الأوسط من القسم «أ» (الآيات: ١٥- ٢٨) فيواصل عرض برنامج الإصلاح القانوني. ففي حالة ارتكاب المرأة الفاحشة، يجب أن يكون هناك أربعة شهود [لإدانتها]؛ وعند وجودهم فقط يمكن أن تُنزَل بها العقوبة (بأن تبقى حبيسة بيتها). ويرى خالد أبو الفضل، الباحث المعاصر في الفقه الإسلامي، أن هذه الآية تنطبق على المرأة غير المتزوجة، في مقابل الآية رقم على التي تنطبق على المرأة المتزوجة. وهذه تبدو قراءة منطقية (۱). وبالمثل، لا بد من عقابٍ عند ارتكاب الرجال الفاحشة (ربما في صورة عقوبة جسدية). غير أن هذا الجزء يبرز -مرارًا وتكرارًا- إمكانية التوبة ونَيل العفو والمغفرة من الله. وفي الآيات الواردة في منتصف الجزء (١٩ - ٢٥)، يؤكّد النصّ على أن المرأة لا تُورَث رغمًا عن إرادتها؛ ﴿لَا يَكِلُ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِسَآءَ كَرُهَا﴾، وهو المماه المرأة لا تُورَث رغمًا عن إرادتها؛ ﴿لَا يَكِلُ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِسَآءَ كَرُهَا﴾، وهو

⁽¹⁾ Khaled Abou El Fadl, *The Search for Beauty in Islam: A Conference of the Books* (Lanham: Rowman & Littlefield, 2006), 112.

ما يمثّل انعتاقًا من التقاليد القائمة [آنذاك] (۱). وبالمثل، لا ينبغي للأزواج السعي إلى استعادة المهور التي أعطوها لزوجاتهم، إلّا في حال التلبُّس الواضح بارتكاب الفاحشة. وبدلًا من الفظاظة في التعامل والسلوك، يجب على الزوج أن تكون حياتُه مع زوجته قائمةً على أساسٍ من المساواة والعطف؛ ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾، وعليه أن يتحلّى بالصبر، وأنْ يأمُلَ أن يتحسّن الحال بفضلٍ من الله، بدلًا من أن يُسارع إلى الطلاق؛ ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن يتزوَّج تَكَرُهُواْ شَيْعًا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾. ولكن إنْ أراد الرجلُ أن يتزوَّج بأخرى، فعليه أن يدفع إلى الأُولى مهرَها كاملًا، كما نصَّت الآية ٢٠. وهذا من باب العدل، نظرًا لجدية ميثاق الزواج بعد قيام العلاقة الزوجية بينهما، كما جاء في الآية رقم ٢١ المركزية: ﴿...وَأَخَذُنَ مِنكُم مِّيثَاهًا غَلِيظًا ﴾.

ثم جاء الجزء الأخير من القسم «أ» (الآيات: ٢٩- ٤٢) ليحضّ المؤمنين على تحرّي العدل في ممارساتهم التجارية: ﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمُولَكُم بَيْنَكُم بِينَكُم بِينَكُم بِينَكُم بِينَكُم بِالْبَطِلِ ». فهذا السلوك الظالم يتناقض مع عدل الله المطلق، كما تحكي عنه الآيات الأخيرة. وفي الآيات الوسطى [من الجزء] (٣٢- ٣٥)، هناك أمرٌ بعدم

⁽١) كان لأخي المتوفَّى أو ربيبه الحقُّ في أن يرِث زوجتَه، وَفق العرف آنذاك. قارن هذا بالممارسة اليهودية القديمة التي تقضى بأن تُورَث الأرملة، وقد جاء نقاش تلك المسألة في:

[&]quot;Inheritance," *Jewish Encyclopedia*, ed. Isidore Singer (New York: Funk and Wagnalls, 1906).

الطمع [فيما لدى الغَير]، وبإعطاء الورثة والأزواج والزوجات نصيبَهم. هنا أيضًا نجد الآيات تقول بأنّ الأزواج عليهم أن يقوموا على رعاية شؤون زوجاتهم؛ إذْ يأتي هذا نتيجةً طبيعية لما أمَدَّهم اللهُ به من أدواتٍ لم تتوفّر للمرأة (وتجدر هنا الإشارة إلى أن الرجل في هذا المجتمع يقوم بدور اكتساب مصادر العيش)، بينما على الزوجات أن يتمتّعن بالإخلاص والوفاء لأزواجهنّ، وأن يحفظْنَ في غَيبتهم ما أمرهنّ الله بحفظه. وبالتالي، فهناك نصٌّ على مسؤوليات كلُّ طرف. وقد أعقب هذا الحديث عن نشوز الزوجة، أو الفاحشة المُبيِّنة (١). في هذه الحالة، على الزوج أولًا أن يَعِظها ويؤنّبها قولًا، ثم يهجرها في المضجع، وأخيرًا يمكنه أن يضربها (ضربًا يسيرًا). وهذا الإجراء الأخير ورَد في سياق دعوةٍ إلى التعامُّل بالحُسنى واللِّين ورعاية الزوجة؛ وبالتالي فإن أيّ عمل جسدي لا بدّ أن يكون خفيفًا، وبالتأكيد سيكون رمزيًّا أكثر من كونه حقيقيًّا. ثم تأتي خطوة أنْ يختارا ﴿حَكَمًا مِّن أَهْلِهِ ع وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ﴾، لتُمَثِّل الخطوة التالية في محاولات منع تمزّق الأسرة. ويخبرنا اللهُ في تلك الآية أنّه سيضع بينهما

⁽١) حول ترجمة «نشوز» إلى clear lewdness، في الإنجليزية، بمعنى «فاحشة مُبيِّنة»، انظر: Abou El Fadl, *The Search for Beauty in Islam*, 111-112.

علاوةً على ذلك، فقد ذهب في هذا الموضع إلى أنّ «الآية ١٥ من سورة النساء تنصّ على عقوبة الفاحشة، لا الزنا، بالنسبة إلى المرأة غير المتزوجة. بينما الآية ٣٤ من السورة ذاتها تنصّ على عقوبة الفاحشة، لا الزنا، بالنسبة إلى المرأة المتزوجة. وفي الحالتين، يجب أن يكون هناك شهود وأدلّة؛ في الحالتين يجب أن يكون هناك إثبات وإدانة».

التوفيق إن كانت هناك رغبة صادقة في الإصلاح: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصَلَحَا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ اللَّهُ مَا الله عَنْ الله الله عَنْ الله الله الله عَنْ الله الله عَنْ الله عَنْ

وقبل الانتقال إلى مناقشة القسم التالي، قد يهمّنا الإشارة إلى رسالةٍ مشابهة، تردّدت أصداؤها في خطبة الوداع التي ألقاها النبي في مكة في يوم الحجّ الأكبر عند أدائه مناسك الحج في العام العاشر للهجرة (٦٣٢م). والمقطع الذي أقصده في هذه الخطبة يُستهلّ بقوله: «إنّ لكم على نسائكم حقًّا، ولهنّ عليكم حقًّا». ومن هذه الحقوق أن يتوقع الرجل من زوجته ألَّا تأتي بفاحشة، وأن تتوقع المرأةُ من زوجها أن يتّقى الله فيها وأن يُعاملها بلِين، مستوصيًا بها خيرًا، وأن يُنفق عليها بالمعروف دون إقتار. ولكن في حالِ أتت المرأة بفاحشةٍ مُبيِّنة، فللرجل أن يهجرَها في فراش الزوجية، ثمّ له أن يضربها شريطة أن يكون ضربًا غيرَ مُبرِّح. وينتهي هذا المقطع [من الخطبة] بحَثَّ الرجال على أن يستوصوا بنسائهم خيرًا؛ لأنهن «لا يملِكن لأنفسهن شيئًا»، ولأن الرجالَ أخذوهن «بأمانةِ الله»، وقد صاروا في علاقةٍ زوجية معهن «بكلمةِ الله»(١). فهناك تأكيدٌ في هذه الخطبة إذن، كما في سورة النساء، على مبدأ المُعامَلة بالمِثل واللِّين والعطف والإقساط في التعامُل.

⁽١) ابن هشام، السيرة النبوية، ص١٤١.



٢٠٢. القسم «ب» (٤٣ - ١٠٤): الجهاد في سبيل الله:

يتناوَل القسم «ب» في جزئه الأول^(۱) مسائل من قبيل الصلاة والطهارة والنفير. ففيما يتعلّق بالوضوء، قد يكون أيُّ شيء من الرّمْل النظيف «الصعيد الطيّب»، كافيًا عند انعدام الماء^(۱). وبعد ذلك نلحظ عودة السورة إلى تناوُل مسائل مشابهة في الجزء الأخير من القسم «ب»، حيث يُشار إلى النفير وردّ التحيّة وقَصْر الصلاة في حال الخوف من التعرّض لهجوم من العدو^(۳). وهذا

⁽١) فتمامًا كالأقسام الأخرى، يشتمل هذا القسم الثاني من السورة على ثلاثة أجزاء: ٤٣ - ٥٥، ٥٥ - ٨٥، ٨٥ - ٨٥.

⁽٢) ﴿ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ له جذورٌ في الطقوس اليهودية والمسيحية، كما يُشير نولدكِه. انظر: History of the Qur'ān, 162.

⁽٣) وَفقًا لما رَوى ابن هشام، فإن حادثة قصر الصلاة وقعت في غزوة ذات الرقاع في العام الرابع الهجري (٣) وَفقًا لما رَوى ابن هشام، فإن حادثة قصر المدينة في العام الخامس للهجرة (٢٢٦م) [غزوة الأحزاب]، سعى مشركو مكة إلى حشد الدعم من قبائل الأعراب؛ استعدادًا لمحاولة سحق المسلمين. ومن تلك القبائل كانت قبيلة غطفان، التي كانت ديارُها شمال شرق المدينة. وردًّا على ذلك، كانت سياسة النبي في ذلك الوقت هي استباق الأحداث واستطلاع التحرّكات المعادية. فمتى كان يسمع عن احتشاد مقاتلين يُهددون المدينة، كان يُرسل السرايا لمواجهتهم. وهكذا، نجده يخرج [بنفسه] غزوة ذات الرقاع في العام الرابع الهجري (٢٢٦م). وقد واجه المسلمون فيها عددًا كبيرًا من رجال قبيلة غطفان، وهناك صلَّوا قصرًا، ثم لم يقع قتالٌ بعد ذلك. انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ص ٤٤٨. انظر أبضًا:

[&]quot;The Rousing of the Nomads" in W. Montgomery Watt, *Muhammad at Medina* (Oxford: Oxford University Press, 1962), 29-31.

الجزء الأخير يحثّ على الجهاد في سبيل الله، ويُشير إلى المنافقين. وبالإجمال، يمكن مقارنة القسم «ب» بالقسم الثاني من سورة التوبة التي نزلَت في العام التاسع للهجرة (٦٣٠م)، حين كان المسلمون يتوقّعون هجوم الروم من الشمال. ففي ذلك القسم [من سورة التوبة]، هناك إشارة أيضًا إلى النفير في سبيل الله (غزوة تبوك)، وإحجام المنافقين عن ذلك (١). وعلى هذا النحو، تشترك هاتان السورتان المدنيتان في عنصرٍ تركيبي، على الرغم من تباعد السنين بين نزولهما. ومع ذلك، فعند نزول سورة النساء، لم يكن الفتح الأعظم، فتح مكة، قد تحقق بعد. وعلى الرغم من الهزيمة الكبيرة في أُحُد، نجد هذا القسم يدعو المؤمنين إلى أن ينفروا في سبيل الله.

وبالمثل، يمكن للمرء أن يعقد مقارنة ومقابَلة بين الجزء [الثاني] المركزي في القسم «ب» من سورة النساء وبين الأقسام الختامية من سورة البقرة وهي سورة مدنية نزلَت قبل سورة النساء بحوالي عامين. ففي سورة البقرة هناك دعوة للمسلمين أن يُخرِجوا المشركين من مكة مثلما فعل هؤلاء المشركون حين أخرجوا المسلمين منها، وأن يُقاتلوا حتى ينتهوا عن عدوانهم (الآيات: ١٩٠ - أخرجوا المسلمين منها، وأن يُقاتلوا حتى ينتهوا عن عدوانهم (الآيات: ١٩٠ - وقارنها أيضًا بالآيتين: ٣٩ - ٤٠، من سورة الحج). وبالمثل، نجد في خواتيم سورة البقرة تطابُقًا بين وضع بني إسرائيل الذين

⁽١) انظر: . 249-250, 260. (۱) انظر: . Farrin, "The Pairing of Sūras 8-9,"

أُخرجوا من ديارِهم وواجَهوا جالوت وجنودَه (الآيات: ٢٤٦– ٢٥١)، وبين المسلمين المُخرَجين من مكة وهم يتأهَّبُون لمُلاقاة قريش. فدعاءُ الفئة المؤمنة من بني إسرائيل أن يُفرغَ الله عليهم صبرًا ويثبّتَهم وينصرَهم على الكافرين (الآية ٠٥٠)، يتشابه مع آخر دعاء للمسلمين في السورة ذاتها وطلبهم العون والنصر من الله (الآية ٢٨٦). إضافةً لهذا، فهتافُهم: ﴿كُم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بإذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [الآية ٢٤٩]، لا بدّ أنه يكون له صدى عند التأمّل في حال المسلمين الذين كان عدوُّهم يفوقهم عددًا(١). وبالتالي، فسورة البقرة التي نزلت بُعيد الهجرة، في العام ٦٢٢م، تحوي إقرارًا بالتفاؤت العددي، ولكنها مع ذلك تحتّ المسلمين أن يُقاتِلوا لإخراج المُشركين من حيث أخرجوا المسلمين من ديارهم وأهليهم؛ وهذا لكيلا تقع فتنةٌ وفسادٌ في الأرض (الآية ١٩٣، والآية ٢٥١). من ناحية أخرى، في مركز القسم «ب»، نجد حثًّا على القتال ﴿ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْولْدَانِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجُنَا مِنْ هَاذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيَّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [الآية ٧٥]. وبالتالي فسورة النساء فيها دعوة باسم المستضعَفين لتصحيح أوضاعهم وما يتعرّضون له من سوء معاملة. وفي

⁽١) انظر: . Farrin, Structure and Qur'anic Interpretation, 18, 84-85.

الحالين، كما نرى، نجد الدعوة إلى القتال تتناسب مع السياق الوارِد في كل سورة.

في الآيات الوسطى من الجزأين الأول والثالث في هذا القسم (الآيتين: ٨٧ وك تحديدًا)، نجد تحذيرًا من الشرك ونصًّا على التوحيد. وفي الحالين هناك إشارة إلى يوم القيامة. ولهذه الفكرة التي تشترك فيها هاتان الآيتان، إلى جانب العودة إلى مسألة النفير والصلاة في البداية والنهاية، دورٌ في ربط الجزأين الأول والثالث. هنا قد نُشير إلى اختلافٍ طفيف بين قراءتنا لبنية السورة وبين قراءة أمين إصلاحي (المعالم وماثياس زاهنيسر (A. H. Mathias Zahniser). فكلا العالمين يرى أن القسم الثاني [أي القسم "ب"] من السورة يبدأ مع الآية ٤٤، لا الآية ٣٤ كما ذهبتُ أنا. ولكن الآية ٣٤ ترتبط بالجزء الأخير من القسم "ب"، لإشارتها إلى الصلاة والنفير في سبيل الله، كما أشرنا للتوّ (وبالمثل، يمكن القول إنّ كلمات الآية ٢٤: ﴿وَلَا يَكُتُمُونَ ٱللّهَ حَدِيثًا﴾ هي ختامٌ للقسم الأول، بارتباطها بختام الآية (الفاصلة) الأولى فيه وفي السورة كلها: ﴿إنّ ٱللّهَ كَانَ

⁽١) أمين أحسن إصلاحي (١٩٠٤ - ١٩٩٧): أحد أبرز تلاميذ الإمام الفراهي، وأحد أهم رواد مدرسته الإصلاحية، وأشهر كتبه تفسيره الكبير «تدبر القرآن» المكتوب في تسعة مجلدات، والذي استغرق في كتابته اثنين وعشرين عامًا، وسار فيه على منهج شيخه في تتبع «نظام القرآن»، وله كتب أخرى، مثل: «حقيقة التوحيد»، «حقيقة الشرك»، «تزكية النفس»، وكلّ كتبه بالأردية، وهو مترجِم كتب الفراهي للغة الأردية. (قسم الترجمات).



ترجمات

عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾). وبناءً على هذه الملاحظات، فإن بدء القسم [أي القسم «ب»] من بعد الآية ٤٢ يبدو أكثر ملاءمة ودقة. وبخلاف هذا، فتقسيماتنا متشابهة (۱). ومن نافلة القول التأكيد على أن هذه الدراسة، بقراءتها المختلفة قليلًا، تسعى إلى تقديم مساهمة في تحسين فهمنا لبنية السورة والتركيز أكثر وأكثر على لبّ رسالتها.

⁽۱) يقسِّم إصلاحي السورة إلى: ١- ٤٣، ٤٤ - ١٢٦ (وهذا القسم الثاني يحوي جزأين داخليين: ١٠٥ - ١١٥ و ١١٥ و ١١٦ - ١٢٦؛ وقارن هذا بالقسم «ج» و «ب"» في تحليلنا)، ١٢٧ - ١٧٦؛ بينما يقسّمها زاهنيسِر إلى: ١ - ٤٣، ٤٤ - ٧٠، ٧١ - ١٢٠ (وفي مقالة لاحقة عن التحوّلات والحدود في السور الطوال، يجعل الآيات ١١٦ - ١٢٦ بنية حلقيّة مستقلة)، ١٢٧ - ١٧٦. انظر:

Iṣlāḥī, as cited in Mustansir Mir, Coherence in the Qurʾān: A Study of Iṣlāḥī's Concept of Nazm in Tadabbur-i Qurʾān (Indianapolis: American Trust Publications, 1986), 46-47; Zahniser, "Sūra as Guidance and Exhortation: The Composition of Sūrat al-Nisā'," in Humanism, Culture and Language in the Near East: Studies in Honor of Georg Krotkoff, ed. Asma Afsaruddin and A. H. Mathias Zahniser (Winona Lake, IN: Eisenbrauns, 1997), 71-85; Zahniser, "Major Transitions and Thematic Borders in Two Long Sūras: al-Baqara and al-Nisā'," in Literary Structures of Religious Meaning in the Qurʾān, ed. Issa J. Boullata (Richmond: Curzon, 2000), 26-55.

٢٠٣٠ القسم «ج» (١٠٥ - ١١٥): نموذج مثالي في الحُكم:

يتناول القسم الأوسط من السورة (الذي يضم ثلاثة أجزاء: ١٠٥-١٠، المحدد. ينتاول القسم الأوسط من السورة (الذي يضم ثلاثة أجزاء: ١٠٥-١٠، عزوة أحد على ما يبدو. إذ قيل: إنّ طُعْمَة بن أُبيرِق، أحَد ساكني المدينة، سرَق دِرعًا من منزل شخصٍ ما (١)، وقام عليه الدليل؛ فرمى به في بيت يهودي، وحاول بعدئذٍ اتّهام اليهودي بهذه السرقة. وقد كان طُعْمَةُ هذا من الأنصار، فاصطفّ الأنصار معه ودافعوا عنه، مُتّهمين اليهودي أيضًا؛ ولكن قام الدليل عليه. في تلك اللحظة، حين صار واضحًا أنه سيُدان بالسرقة، فرَّ طُعمَةُ إلى مكة (١٠). في ضوء ذلك، يؤكّد هذا القسم من السورة أن الله أنزل القرآن بالحق، لكي يحكم النبيّ [استنادًا إليه] بين الناس. ثمّ يحذّر من الشهادة بغير الحق والدفاع عن الخائنين. ويؤكّد أيضًا أنه على الرغم من أهمية التوبة وإمكانية قبولها، ستأتي كل

⁽١) جاء في تفسير الطبري أنّ الدرعَ كانت لعمّه، وأنها كانت وديعةً عنده؛ فيما جاء في تفسير البغوي أنها كانت لجارٍ له. [المُترجِم]

⁽۲) الطبري، تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: صلاح عبد الفتّاح الخالدي (دمشق: دار القلم، ۱۹۹۷م)، (۳/ ۱۹۰۸). وقارن هذا بما يرد في: الرازي، مفاتيح الغيب، تحقيق: عماد زكي البارودي (القاهرة: المكتبة التوفيقية، ۲۰۰۳م)، (۲/ ۲۹)؛ والقرطبي، تفسير القرطبي، تحقيق: سالم مصطفى البدري (بيروت: دار الكتب العلمية، ۲۰۰۶م)، (۳/ ۲٤۰–۲۲۲).

ترجمات

نفس يوم القيامة أمام الله لتُسأل عن أعمالها، وأنّ مَن يرتكب إثمًا ثم يتهم به شخصًا بريئًا، فسيبوء بذنب الإثم نفسه وبذنب الافتراء والبُهتان.

ومع أنّ هذه الحادثة الواردة في التفاسير لا يمكن إثباتُها تاريخيًّا (١)، يبدو أن لها مصداقية لعددٍ من الأسباب؛ أوّلها: أنّ سرقة دِرع أمرٌ مفهوم في تلك

(١) ذكر ميشيل ترويو أنَّ رفض بعض المعاصرين للمرويات الإسلامية التاريخية نابع من كونها لا تخضع للتاريخ الخطّي الحديث، وكما يذكر فإنّ هذا القول لو اعتبر سليمًا فعلينا رفض كلّ تأريخ قبل التأريخ الحديث، وليس فقط التأريخات العربية والإسلامية التي دومًا ما تُرفض لهذا السبب، ولتأخّرها وعدم موثوقية مناهجها، في حين تُقبل التأريخات البيزنطية والأرمنية لنفس الفترة؛ لذا فإنّ النظر الاستشراقي العام للمدونات الإسلامية الثانوية، مِثل السيرة والحديث والتاريخ، بكونها ليست موثوقة كمصادر تاريخية ولا يمكن الاعتماد عليها في رسم صورة للأحداث التاريخية للدعوة، ترجع بالأساس لنظرة أعمق داخل البناء المعرفي الاستشراقي، وهو ما يتحدث عنه لمبارد باعتباره عملية رسم للخرائط المعرفية كجزء من الاستعمار المعرفي، حيث تصبح المعارف والمناهج خارج حدود المعارف والمناهج الغربية هي بالضرورة غير متماسكة ولا يمكن اعتبارها علمية بل تخضع فقط للتحليل الأدبى، ومؤخرًا اهتم بعض الدارسين مثل شولر وموتسكى ببحث المناهج التاريخية الإسلامية في موضوعات خاصة؛ مثل جمع القرآن، وتوصل شولر لاحتواء التأريخ الإسلامي على نواة حقيقية من الأحداث، وكذلك توصلت نتائج موتسكى لعدم دقة فرضية تأخّر المرويات في كثير من الأحيان، مما يعني ضرورة إعادة النظر في مدى كفاءة هذه المناهج الإسلامية بعيدًا عن النظرة التبخيسية المشتهرة في سياق الدراسات الغربية، راجع: تفكيك الكولونيالية في الدراسات القرآنية، جوزيف لمبارد، ترجمة: د/ حسام صبرى. تدوين القرآن، ملاحظات على أطروحتى بورتون وانسبرو، ترجمة: د/ حسام صبرى. جمع القرآن، إعادة تقييم المقاربات الغربية في ضوء التطورات المنهجية الحديثة، ترجمة: مصطفى هندى؛ والترجمات الثلاث منشورة على قسم الاستشراق بموقع تفسير. انظر: القوة في القصة،



نرجمات

الآونة؛ فقد كان المسلمون لتوّهِم خرجوا من هزيمة قاسية في أُحُد، كما ذكرنا آنفًا، وما زال الخطر قائمًا. وفي الواقع، عاد مشركو مكة وحلفاؤهم بعد عامين لحصار المدينة، راغبين في استئصال المسلمين وإبادتهم. إضافةً إلى ذلك، فإنّ إلقاء التهمة على يهودي أيضًا شيءٌ منطقى؛ نظرًا لأجواء التوتّر السائدة حينئذ، كما سنناقش لاحقًا. وأخيرًا، نلحظ أنّ رَدّ فعل أقرباء طُعْمَةَ لا ينقُل صورة جيدة عن تلك الفئة من المسلمين الأوائل. ونقلُ هذه التفصيلة يتعارض مع مَيل كُتَّابِ السيرة إلى تمجيد الصحابة. وليس من الراجح أن رَدَّة الفعل تلك شيءٌ ملفَّق [في هذه القصة]، بل الأرجح -إذا كانت تلك الحادثة مُختلَقة- أن تكون هناك بعض التفاصيل التي تدعم السردية السائدة [في كتب السيرة عن الصحابة]. ولذا، فلهذه الأسباب نميل إلى تصديق أقوال المفسّرين في هذه الآيات، التي من الواضح أنها تتحدّث عن متاع مسروق وتهمةٍ كاذبة وشهادة باطلة^(۱).

ميشيل تريو، ضمن كتاب (كيف نقرأ العالم العربي اليوم؟ رؤى بديلة في العلوم الاجتماعية)، ترجمة: شريف يونس، دار العين، مصر، ط١، ٢٠١٣. (قسم الترجمات).

⁽١) انظر أيضًا إشارة الشاعر حسّان بن ثابت (توفّي حوالي ٤٠هـ/ ٢٥٩م) إلى الحادث: ديوان حسّان بن ثابت، تحقيق: عبد الأمير على مُهنّا (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م)، ص١٦٤.

ولتقدير الآثار المترتبة على هذا القسم كما ينبغي، قد نستحضر في هذا الصدد مزيدًا من التفاصيل عن السياق. هنا تُساعدنا «صحيفة المدينة» في هذا الاستحضار. فقد صاغها النبيّ بُعيد الهجرة، وفيها خطوط بارزة للعلاقة بين المسلمين وقبائل اليهود المقيمة في المدينة. ووَفق هذه الصحيفة، ينبغي أن يسود المدينة أجواءٌ من التعاون والتناغُم بين الأديان، وكذا فالمسؤولية الفردية تسبق الانتماء القبلي والطائفي. على سبيل المثال، تنصّ المادة ٣٧ من الصحيفة على «أنّ على اليهود نفقتَهم وعلى المسلمين نفقتَهم، وأنّ بينهم النصر على مَن حارَب أهلَ هذه الصحيفة؛ وأنّ بينهم النُّصح والنصيحة والبرَّ دون الإثم». وتنصّ الصحيفة بعد ذلك على أنه «لا يأثّم امرؤ بحَليفِه، وأن النصر للمظلوم». ثم تأتى المادة ٤٧، فنقرأ فيها: «لا يكسب كاستٌ إلا على نفسه»، أي أنَّ الإثم الذي يرتكبه المرء لا تكون جريرتُه إلا عليه. وقبل ذلك، في المادة ٢٣، هناك نصُّ على مَن يُلجَأ إليه في حال الخلاف؛ إذْ جاء في تلك المادة: «وأنَّكم مهما اختلفتُم فيه من شيء فإن مَرَدَّه إلى اللهِ وإلى محمد»(١).

⁽١) هذه الصحيفة مُترجَمة [إلى الإنجليزية] في: ,Watt, Muhammad at Medina, 221-225. والنصّ العربي يرد في: ابن هشام، السيرة النبوية، ص٢٣٢ – ٢٣٤.

للمزيد حول هذه الصحيفة، انظر:

Watt, Uri Rubin, "The 'Constitution of Medina': Some Notes," *Studia Islamica* 62 (1985): 5-23,

وإلى جانبه، انظر:

نرجمات

لكن في السنوات التالية، تدهورت العلاقات بين المسلمين واليهود في المدينة على نحوٍ ملحوظ. وفي سورتَي البقرة وآل عمران -اللتيْن نزلتا قبل غزوة بدر وبعدها- تأكيدٌ واضح على هذا المنعطف والتدهور. إذْ تشير سورة البقرة إلى كفر بني إسرائيل برسالة موسى، وعبادتهم العجل الذهبي، مثلاً، بينما تشير سورة آل عمران إلى رفضهم نبوّة عيسى والتخطيط لقتله. ومن الواضح أنّ هذه القصص تتعلّق بطريقة تعامُل كثير من اليهود مع النبيّ الجديد في المدينة. فقد استمر كفر بني إسرائيل، ولم يبدُ المستقبل واعدًا. وكما يلحظ ديفيد مارشال، فإنّ «رفْضَ الغالبية العظمى من اليهود الإقرارَ بنبوّة محمد، مع ما مثّلوا من تهديد سياسي للنبي محمد، جعلَ العلاقة بينهم وبينه شديدة التوتّر؛ مع خطر من تهديد سياسي للنبي محمد، جعلَ العلاقة بينهم وبينه شديدة التوتّر؛ مع خطر نشوب صراع يتسم بالعنف...»(۱). عند هذه النقطة، نصل إلى حادثة الدرع

Michael Lecker, *The Constitution of Medina: Muhammad's First Legal Document* (Princeton: Darwin, 2004); and Lecker "Constitution of Medina," in *Encyclopedia of Islam, THREE*, ed. Kate Fleet et al. (Leiden: Brill, 2012).

Mernissi, Le harem politique,

⁽¹⁾ David Marshall, "Christianity in the Qur'ān," in *Islamic Interpretations of Christianity*, ed. Lloyd Ridgeon (London: Routledge, 2001), 12.

ومن وجهة نظر [اليهود]، كما تلحظ فاطمة المرنيسي، «رأوا أن النبيّ (محتال) سرَق [قصص] أنبيائهم، وقام بـ اتوطينها الصالحه. وقد كان من مصلحتهم التخلُّص من النبي لسببَين. إِذْ لم يكن فقط يستنزف مصدر هيبتهم ونفوذهم، أي امتلاكهم المدخَل إلى المقدَّس، أو إلى الجنة، والكتاب المنزَّل من الله، والأنبياء؛ بل كان أيضًا يوظف [شخصيات] أنبيائهم وحكاياتهم الخاصة وعلومهم ومعارفهم، ليشكّل من نفسه قوةً تسود العالَم».

المسروقة، التي مثّلت اختبارًا للمبادئ الواردة في «الصحيفة». في هذا الموضع من القرآن، نجد أنه ينصّ على أنّ النبيّ يجب أن يحكم بين الناس بما أراه الله، وأن على المسلمين ألّا يُجادِلوا عمّن يخونون أرواحَهم. وعلى الرغم من أن التوبة تظلّ فرصةً قائمة، كما نقرأ في بقية الآيات، فإنّ كلّ نفسٍ ستأتي يوم القيامة تحمل ذنبها ومسؤوليتها وحدها. وهنا يؤكّد النصّ على أهمية العدل.

قبل أن نواصل، يمكننا أن نلقي بعضَ الضوء على تلك النقلة النوعية التي شهدها المسلمون على الصعيد الاجتماعي، والقدوة البارزة المتمثّلة في النبي. فمن الواضح تمامًا أن أبناء عمومة طُعْمة كانوا يتصرفون وَفق مبادئ ما قبل الإسلام، حيث الأقارب يتآزرون فيما بينهم ضد الأغراب. لكن القرآن جاء لتغيير هذا، فجعل محلَّ القبلية مبدأً أكبر وأشمل، وهو المجتمع والأمة التي ترتبط فيما بينها برابطة الإيمان والفضائل (راجع الآيتَين: ١٠٣ - ١٠٤ في وسط سورة آل عمران). في ذلك المجتمع الجديد، يُحاسَب الفرد على أفعاله الخاصة، وأكرمُ الناس هو أتقاهم (كما جاء في الآية ١٣ من سورة الخاصة، وأكرمُ الناس هو أتقاهم (كما جاء في الآية ١٣ من سورة

وقد ترجمته إلى الإنجليزية: ماري جو ليكلاند (Mary Jo Lakeland)، انظر:

The Veil and the Male Elite: A Feminist Interpretation of Women's Rights in Islam (New York: Perseus Books, 1991), 68.

نرجمات

الحجرات) (1). ولكن في زمن الوحي آنذاك لم يكن الأنصار قد استوعبوا تمامًا هذه الرسالة. وهذا يقودنا إلى النبيّ القدوة. ومع أنّ من نافلة القول التأكيد على دورهم المحوري في دعوة النبي، لا سيما بعد الهزيمة في أُحُد وفي الفترة التي سبقت حصار الأحزاب للمدينة، كان من مقتضى العدل ردُّ شهادتهم، وأن يُدان أحَدُ أفرادهم. هنا، نرى كيف أن النبيّ لم يكن يعظ الناس فقط عن العدل، بل يضع هذا المبدأ موضع التنفيذ، حتى ولو تعارض هذا بشكل مباشر مع أحد أنصاره. وليس من المبالغة التأكيد على أثر هذا الفعل في دائرة الاقتداء.

⁽١) كتَب وليد صالح، في هذا الصدد، أنّ «القرآن والأمة التي يتصوَّرها قد استندا إلى نفي صلات الآباء والأبناء وقطع علائق القرابة. فعندما يتعلق الأمر بالخلاص والنجاة، لا يرتبط الأمر بعلاقات الدم». انظر:

Review of Muhammad is Not the Father of Any of Your Men: The Making of the Last Prophet, by David S. Powers, Comparative Islamic Studies 6 (2010): 263.

وللمزيد عن هذا التحوُّل، انظر تلك المقالة الثاقبة التي كتبَتْها نويفرت (Neuwirth) بعنوان:

[&]quot;From Tribal Genealogy to Divine Covenant: Qur'anic Re-figurations of Pagan Arab Ideals" in *Scripture, Poetry and the Making of a Community: Reading the Qur'an as a Literary Text* (Oxford: Oxford University Press, 2014), 53-75.

٢. ٤. القسم «ب"» (١١٦ - ١٢٦): الإسلام في مواجهة الشرك:

في القسم «ب"» (الذي يحوي ثلاثة أجزاء: ١١٦ - ١٢١، ١٢٢، ١٢٣ -١٢٦)، نجد هناك عودة إلى المقابلة بين الشرك والتوحيد. إذْ إنَّ أجر القتال في سبيل الله، المُشار إليه في مركز القسم «ب» (الآية ٧٤) يظهر مرة أخرى هنا في وسط القسم «ب"» (الآية ١٢٢). وفي الحقيقة، سيلحظ المرء -من الناحية اللغوية والموضوعية- انسجامًا عميقًا بين القسمين؛ إذْ ترد الإشارة إلى الشيطان في ثلاث آيات في الجزء الأوسط من القسم «ب» (وهي الآيات ٢٠، ٧٦، ٨٣)، كما يُشار إليه أيضًا في ثلاث آياتٍ أخرى في القسم الأول من القسم «ب") (۱۱۷، ۱۱۹، ۱۲۰)؛ ويأتي اسمه فقط في مرة واحدة بموضع آخر من السورة (في الجزء الأخير من القسم «أ»، في الآية ٣٨). أمّا كلمة «نقير» -وهي «نُقرةٌ في ظهر النواة» أو «أقل القليل» - فترد في الجزء الأول من القسم «ب» (إشارةً إلى البُخل والإقتار، كما في الآية ٥٣)، ثم تأتي في الجزء الأخير من القسم «ب"» (في النصّ على أن الله لا يظلم الناسَ ولو شيئًا يسيرًا، كما في الآية ١٢٤). وهي كلمة لا ترد في أيّ موضع آخر من القرآن. وبالمثل، يظهر إبراهيم [عليه السلام] في الجزء الأول من القسم «ب» (الآية ٥٤)، وفي الجزء الأخير من القسم «ب"» (الآية ١٢٥) أيضًا. في الوقت ذاته، نرى أنّ فكرة اتّباع ﴿مِلَّةَ إِبْرَهِامَ حَنِيفًا ﴾ هي نقطة الانتقال إلى القسم «أ"»، الذي يتناول في عدّة مواطن مسائل تتعلق بأهل الكتاب.

ترجمات

٢٠٥٠ القسم «أ"» (١٢٧ - ١٧٦): النساء والميراث وأهل الكتاب:

نعود مع بداية القسم «أ"» إلى موضوع النساء واليتامي. فمرّات وُرود كلمة «القسط» تمثّل إطارَ الجزء الأول من هذا القسم (الآيتان: ١٢٧ و١٣٥)، في تطابُق مع صيغةٍ تأتي في الآية الثالثة من السورة (والكلمة لا ترد في موضع آخر من السورة). مرة أخرى، تأتى الآيات على ذِكر النساء في سياق إيتاء اليتامي نصيبهم. ويواصل النصّ فيعالج موضوع العلاقات الزوجية (الآيات ١٢٨-١٣٠). وفي هذه الحالة، تأتي الإشارة إلى الزوجة التي تخاف سوء المعاملة من زوجها. ومما يشير إلى المساواة أو المعاملة بالمثل بين الزوجين استخدام كلمة «نشوز»، التي كانت تعنى «فاحشة مبيِّنة» في السابق (الآية ٣٤)، وهنا تعني سوء المعاملة؛ وعمومًا يمكن لهذه الكلمة أن تكون بمعنى حالة من التنافُر والخلاف بين الزوجين. ثم يواصل النصّ التأكيد على أنه بالرغم من إمكانية الانفصال والطلاق حين يصعب حل الخلافات -وحينها سيغنى اللهُ كلًّا من الزوجين من سعته وفضله- فإن الصلحَ بين هذين الزوجين أفضل وخيرٌ [لهما وللمجتمع]. أيضًا، في تناغم مع الآية الثالثة، تنصّ الآية ١٢٩ على أنّ الرجال لن يستطيعوا العدلُ بين النساء -أي بين عددٍ من الزوجات- حتى لو حرصوا على تحقيق هذا الأمر. ولكن هذا لا يعني أن تُترَك المرأة ﴿كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾، فلا هي تُعامَل كزوجة ولا هي طُلِّقَت. ونلحظ أنها في مثل هذا الوضع لا تحصل على نفقة من زوجها، ولا تأخذ صداقًا وتُسرَّح لتعود إلى قرابتها أو تتزوج من جديد ('). ومع أن التعدّد -على هذا النحو- شيءٌ لا يُشجَّع عليه من جهة المبدأ، فإن رعاية النساء تظلّ أمرًا بالغ الأهمية. وفي المجمَل، يؤكد النصّ في مسألة اليتامى والنساء مجدَّدًا على فكرة العدل والتعامل بالحسنى.

وفي الجزء الأوسط من القسم «أ"» (الذي يحوي الآيات: ١٣٦- ١٦٩)، هناك ربطٌ ضمني بين المنافقين وبين أهل الكتاب (وهنا يُقصَد بهم اليهود)، في أنّ كِلا الطرفين يسمعون آيات الله ثم يكفرون بها ويستهزئون بها، سواءٌ أمام الآخرين أو أمام النبي نفسه. وقد وُعِد هؤلاء المنافقون الذين لم يتوبوا والمشركون من أهل الكتاب عذابًا أليمًا يُخلَّدون فيه. في هذا الموضع أيضًا، يلحظ المرء بعض الآيات الصعبة (١٥٧- ١٥٩)، التي تشير إلى انتهاء مهمة المسيح على الأرض (١٠). فبغضّ النظر عن مسألة إنْ كان القرآن ينفي صَلْبَ

وانظر أيضًا:

⁽۱) قد يبدو أن الموقف في الآية ١٢٩ ينطبق خصوصًا على أولئك الرجال الذين تمادَوا وتزوّجوا بالعديد من الفتيات اليتيمات. ومع أنّ من الواضح أن الرجل لا يستطيع أن يكون عادلًا تمامًا، فإنه في الوقت نفسه ليست لديه صلاحية إهمال إحدى زوجاته [تمامًا]، على سبيل المثال. فهذه الزوجة تستحق أن تلقى معاملة مثيلة لِما تلقاه الزوجات الأخريات، بقدر الإمكان، وإلا فعليه تسريحها وتطليقها مع إعطائها صَداقَها.

⁽٢) حول هذا الموضوع، انظر:

Todd Lawson, *The Crucifixion and the Qur'an: A Study in the History of Muslim Thought* (Oxford: Oneworld, 2009).

المسيح أم لا، يمكننا القول -بثقة - إنّ الإشارة إليه تأتي -جزئيًّا على الأقل للردّ على اليهود. فقد كانوا، على ما يبدو، يسخرون من بعض العقائد المحورية للمسيحية، حول ولادة العذراء والطبيعة الإلهية للمسيح، قائلين إنّ مريم لم تكن بتولًا (قارن هذا باشتراط وجود أربعة شهود لإثبات تهمة الفاحشة، كما في الآية ١٥)، وكانوا يفخرون بقولهم إنّ المسيح قد قُتِل، أو أنهم تسببوا في قتله. فكيف له إذن -بمنطقهم في الفخر والتباهي - أن يكون ذا طبيعة إلهية؟ وقد ردّ القرآن عليهم مؤكدًا أنّ اتهامهم لمريم بُهتان عظيم، وأنهم لم يقتلوا المسيح حقًّا، وإنما ﴿رَقَعَهُ ٱللّهُ إِلَيْهِ﴾. غير أن القرآن يردّ -بالطبع - بطريقة تتسق مع عقيدته، قائلًا في الجزء الأخير من القسم «أ"» إنّ المسيح رسولٌ من الله، وليس ابنَ الله. وفي الوقت ذاته، تنص الآية ١٤٨، التي تأتي في منتصف هذا الجزء، على أنه ﴿لّا يُحِبُ ٱللّهُ ٱلْجَهْرَ بٱلسُّوءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلّا مَن ظُلِمَ﴾.

Suleiman Mourad, "Does the Qur'ān Deny or Assert Jesus' Crucifixion and Death?" in *New Perspectives on the Qur'ān: The Qur'ān in Its Historical Context 2*, ed. Gabriel S. Reynolds (London: Routledge, 2011), 347-355.

حيث يقدّم مراد أطروحة مفادها أن القرآن -في الواقع- لا يُنكِر الصَّلْب، ولكنه يُنكر أن هذا الصَّلبَ كان له أثَر؛ لأن اللهَ رفعَ عيسى إلى السماوات. وللاطلاع على تحليل مفصَّل للآية ١٥٧ تحديدًا، انظر:

W. R. Oakes, "Toward a contextual, inter-textual and linguistic translation of the hapax legomenon term shubbiha lahum that is found in Sūrat al-Nisā' 4 āya 157," in *Qur'anic Narratives and the Challenges of Translation*, ed. Hassane Darir, Abdelhamid Zahid, and Moulay Youssef Elidrissi (Irbid: Modern Books' World, 2014), 146-168.

ويتناول الجزء الأخير من القسم «أ"» (ويحوي الآيات: ١٧٠- ١٧٦) رؤية المسيحيين للإله، كما أشرنا، ثم يعود إلى مسألة المواريث (). فترفض الآيات فكرة التثليث بشدّة. وهذا الجزء الأخير -وفي الواقع القسم الأخير عمومًا - هو عرضٌ مُسبَق لسورة المائدة، التي تتناوَل في عمومها أهلَ الكتاب، وتصف عقيدة المسلمين وشريعتهم في مقابل عقيدة وشريعة أهل الكتاب. في الوقت نفسه، فإن تلك العودة الأخيرة لمسألة المواريث تمثل خاتمةً للسورة (وقارنها بالآية ١٢)، كما أشار بعضُ المفسّرين، مثل الرازي والبقاعي وسيّد قطب (٢). إضافةً إلى ذلك، قد يُقال إن الجملة الختامية (الفاصلة) في هذا الجزء ﴿وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وتربط بختام الآية الأولى ﴿إِنّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمُ وَقِيبًا ﴾، وأيضًا بختام الآية الأولى ﴿إِنّ اللّهُ عَلِيمًا وَقِيبًا ﴾، وأيضًا بختام الآية الأولى السورة: ﴿وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾.

وفيما يلي تلخيص يرسم صورةً شاملة لبنية سورة النساء المنظومة وَفق البناء المحوري المتناظر:

⁽١) قارن هذا بالعودة إلى مناقشة مسألة المواريث في ختام سورة الأنفال (الآية ٧٥؛ والسورة تبدأ ببيانٍ حول غنائم الحرب). وهذه السورة نزلَت بُعيد غزوة بدر وقبل نزول سورة النساء بحوالي عام.

⁽۲) الرازي، مفاتيح الغيب، (٦/ ١٠١)؛ البقاعي، نَظْم الدُّرَر في تناسُب الآيات والسوَر، تحقيق: عبد الرزّاق غالب المهدي (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٦م)، (٢/ ٣٨٣)؛ سيد قطب، في ظلال القرآن (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٩م)، (٢/ ٢٣٨).

أ. أمرٌ بتقوى الله الذي خلق الناسَ من نفسٍ واحدة، وباسمه يتساءَل الناس فيما بينهم ويطلبون بعضهم من بعض عونًا؛ وتأكيدٌ على أنّ الله رقيبٌ على الناس؛ وأوامرُ متعلّقة باليتامى والمواريث والزنا والزواج والطلاق؛ وذمُّ الظلم؛ وحضُّ على الكرم والتعامُل بالحسنى.

ب. أوامرُ بإقامة الصلاة؛ وحضٌّ بالنفير والجهاد في سبيل الله والمستضعفين؛ وتأكيدٌ على أن الله أعدّ للمجاهدين في سبيله أجرًا عظيمًا؛ وتأكيداتٌ على التوحيد؛ وحديثٌ عن أنّ المنافقين يُحجِمون ولا يُقدِمون؛ وأنّ على المؤمنين أن يقاتلوهم إذا انقلبوا على المؤمنين؛ وأن جميع المؤمنين قد وعدّهم الله الحُسنى، ولكن أولئك الذين جاهدوا في سبيل الله قد فضّلهم الله بأجرِ عظيم.

ج. أنزَل الله الكتاب على نبيّه لكي يحكم -استنادًا إليه- بين الناس؛ وعلى الناس ألّا يتّهموا بريئًا أو يدعموا مَن يتّهم بريئًا (وتسوق الآيات مثالًا على تهمة باطلة ظالمة، وحكم الرسول العادل في تلك القضية)؛ ويؤكّد القسم أيضًا على المسؤولية الفردية عن الذنب؛ وأن الله عليمٌ حكيم؛ ويشير أيضًا إلى ما أعدَّ الله من أجر عظيم له من أمر بصدقة أو معروف أو إصلح بين النّاس.

ب". ذمّ الشرك بالله؛ وإشارة إلى أن أولئك الذين يؤمنون بالله ويعملون الصالحات سيدخلون ﴿جَنَّاتٍ تَجُرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ﴾؛ وتأكيد على أن أحسن ما يَدين المرء به هو الخضوع لله وعمل الصالحات واتّباع النبي إبراهيم في مسألة التوحيد.

أ". حضُّ على العدل والإقساط إلى اليتامى؛ والإصلاح بين الزوجين خيرٌ، لكن إن وقع الطلاق، فإنّ الله سيُغني الطرفَين من فضله وسعته؛ وحضٌّ على الإيمان بالله ورسوله وكتبه؛ تأكيدٌ على أن المنافقين وبعض أهل الكتاب يستهزئون بآيات الله، وأنهم سيلقَون عقوبتهم



ترجمات

على ذلك؛ وإشارة إلى أن الله لا يحب الجهر بالسوء إلّا إذا تعرَّض الإنسان للظلم؛ وتأكيد على أن النبي جاء بالحقّ من الله؛ ونهيٌ لأهل الكتاب عن المغالاة والقولِ أنّ المسيح ابنُ الله، فإنما هو رسول؛ وحديث عن الظلم في المواريث؛ وتأكيدٌ على أن الله بكلّ شيء عليم.

٣. خاتمة:

في الختام، نلحظ أنّ سورة النساء تمضي وَفق مخطط تناظُري كبير. وتتشابه في هذا الأمر مع السور المدنية، مثل سورة البقرة وآل عمران والمائدة والأنفال والتوبة. هذا البناء التناظُري الكبير يمثّل توسيعًا للمخطط المعتاد «أب – أ"» في السور المكية (الذي يحوي عادةً مقدمة ومتن السورة، الذي عادةً ما يكون قصصيًّا، ثم خاتمة تستحضر ما في المقدمة وتؤكّد على أهمية الرسالة). هنا يتجلّى عنصر من نمط بناء السور المكي، وهو أنّ كلّ قسم من أقسام سورة النساء ينقسم إلى ثلاثة أجزاء. غير أنّ هذه الأقسام، المتماسكة داخليًّا، تجتمع معًا في ترابُط وتماسُك أكبر.

نجد أيضًا ظهور نموذج يشبه النمط المكي في التركيز هنا على النبيّ. وفي هذا الصّدد، أشارت أنجيليكا نويفرت^(۱) مؤخرًا إلى نقلة محورية في السور

⁽١) أنجيليكا نويفرت Angelika Neuwirth (١٩٤٣ -...): من أشهر الباحثين الألمان والأوروبيين المعاصرين في الدراسات القرآنية والإسلامية.

أستاذ الدراسات الساميّة والعربية في جامعة برلين الحرة، درست الدراسات السامية والعربية والفيلولوجي في جامعات برلين وميونيخ وطهران، عملت كأستاذ ومحاضر في عدد من الجامعات، مثل: برلين وميونيخ وبامبرغ، كما عملت كأستاذة زائرة في بعض الجامعات مثل: جامعة عمان بالأردن، وجامعة عين شمس بالقاهرة.

أشرفت على عدد من المشاريع العلمية منها: مشروع (كوربس كورانيكوم).

المدنية. ففي السور المكية، لا سيما تلك التي جاءت في أواسط ونهايات العهد المكي، تدور السردية المحورية فيها غالبًا حول نبيّ من الأنبياء السابقين، ويظهر فيها بوصفه قدوةً للنبي محمد [في احتمال الأذى وكفر قومه به]. غير أنه في هذه السورة يبدو هناك زيادة في الإقرار بمكانة النبيّ الكبيرة، لا سيما بعد فراره من مكة بصعوبة وهجرته إلى المدينة، بل وتحقيقه بعد ذلك انتصارًا مذهلًا في غزوة بدر (الذي يماثل في أهميته تدمير فرعون وحشوده في البحر الأحمر؛ وطالع في هذا الصدد الآيات: ١١ - ١٣ من سورة آل عمران). إذن، فبجانب الدليل الساطع المتمثّل في القرآن الذي صار عدد سوره يزداد عامًا إثر آخر – فقد مثّلت الأحداث التي تصاعدت لتصل ذروتها في فتح مكة مسارًا رسمته أقدار الله وتدبيره. وهكذا، بينما يشير النصّ [القرآن] في العهد

ولها عدد من الكتابات والدراسات المهمة في مجال القرآن ودراساته.

من أهمها:

Der Koran als Text der Spätantike: Ein europäischer Zugang, 2010 القرآن كنص من العصور القديمة المتأخرة، مقاربة أوروبية.

وقد ترجم للإنجليزية هذا العام فصدر بعنوان:

The Qur'an and Late Antiquity: A Shared Heritage, 2019

Studien zur Komposition der mekkanischen Suren, 1981

دراسات حول تركيب السور المكية.

وقد ترجمنا لها بعض الدراسات على قسم الاستشراق، يمكن مطالعتها على موقع تفسير. (قسم الترجمات).

المكي إلى النبي بوصفه «مُنذِرًا»، مثلًا، أو «رسولًا»، نجد هذا النصّ في العهد المدني يُشير إليه بوصفه «نبيًا» (كما في الآية الأولى من سورتَي الطلاق والتحريم). إضافةً إلى ذلك، نجد في النصّ المنزَّل خلال هذا العهد [المدني] ربطًا صريحًا بين النبيّ وبين الله، في صيغٍ من قبيل ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُو﴾ (مثلما في الآية ١٤ من سورة النساء والآية الأولى من سورة التوبة). فكما لحظت نويفرت، «يتزايد التركيز على صاحب البلاغ نفسه» (١٥)(٢).

ومن ناحية البنية والتركيب، نرى أن هناك تطبيقًا لهذا المبدأ في السور المدنية. أي أنّ النبي غالبًا ما يُشار إليه في وسط تلك السور؛ ففي منتصف سورة البقرة (وتحديدًا في الآية ١٤٣)، يُشار إلى النبي بوصفه ﴿شَهِيدًا﴾ على المؤمنين، وهو الشخص الذي عليهم أن يتبعوه (وامتدادًا لهذا، على الأمة أن تصبح نموذجًا تقتدي به الأمم الأخرى في الإيمان والعمل الصالح). وبالمثل،

⁽¹⁾ Neuwirth, Scripture, 153-154, 283-303.

والاقتباس المنقول عنها يأتي في صفحة ١٥٤. قارن هذا بـ:

Jacqueline Chabbi, Le Coran décrypté: Figures bibliques en Arabie (Fayard: Paris, 2008), 73, 382.

⁽٢) للتوسع حول علاقة النبي على بالأنبياء الكتابيين في السور المكية المتأخرة والسور المدنية، وعلاقة هذا بتصور نويفرت حول الصلة بين القرآن والكتاب المقدس ومراحل هذه الصلة، يراجع: الدراسات القرآنية والفيلولوجي التاريخي النقدي، انطلاق القرآن من التراث الكتابي وتغلغله فيه وهيمنته عليه، ترجمة: محمد عبد التفاح، ضمن الترجمات المنوعة على (قسم الترجمات) بموقع تفسير. (قسم الترجمات).



ترجمات

في منتصف سورة الأنفال (في الآيات: ٣٠- ٤٠)، هناك إشارة إلى نصر الله لنبيّه حين كان في مكة. ومع أن المشركين قد خططوا لأَسْر النبي أو إخراجه أو قتله، فقد حماه الله منهم. وهذا المعنى ينبغي أن يكون تشجيعًا لتلك الفئة القليلة في المدينة. ثم يُشير القسم الأوسط من سورة التوبة (الآية ٧٤) إلى إحباط مؤامرة ضد النبي عند عودته من تبوك، وهذا مثال آخر على نصر الله له وحمايته إياه (١). ويمكن مقارنة سورة النساء بهذه الأمثلة، من جهة اشتمالها على محورية صورة النبي فيها وكونها صورة مُلهِمة. ففيها مثال على حُكم النبيّ بالعدل، كما ورَدَ في متصف السورة، وبالتالي فهو القدوة والمثل الأعلى للمؤمنين.



⁽١) للمزيد من النقاش حول هذه الأمثلة، انظر: .252-251. Farrin, "The Pairing of Sūras 8-9," 246-247, 251-252.

المصادر:

- الأندلسي، أبو حيّان. (٢٠٠٧م). البحر المحيط (٩ مجلدات). تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوّض. بيروت: دار الكتب العلمية.
- البقاعي، برهان الدين. (٢٠٠٦م). نَظْم الدُّرَر في تناسُب الآيات والسور (٨ مجلدات). تحقيق: عبد الرزّاق غالب المهدي. بيروت: دار الكتب العلمية.
- حسّان بن ثابت. (١٩٩٤م). ديوان حسّان بن ثابت. تحقيق: عبد الأمير على مُهنّا. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الدخان، نزيهة محمد عليّ. (٢٠١٤م). فاتّبعوه. الكويت: منشورات ذات السلاسل.
- الرازي، فخر الدين (٢٠٠٣م). مفاتيح الغيب. (١٦ مجلدًا). تحقيق: عماد زكى البارودي. القاهرة: المكتبة التوفيقية.
- الطبري، محمد بن جرير (١٩٩٧م). تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. (٧ مجلدات). تحقيق: صلاح عبد الفتّاح الخالدي. دمشق: دار القلم.
- القرطبي، أبو عبد الله. (٢٠٠٤م). تفسير القرطبي. (١١ مجلدًا). تحقيق: سالم مصطفى البدري. بيروت: دار الكتب العلمية.



- قطب، سيّد. (٢٠٠٩م). في ظلال القرآن. (٦ مجلدات). القاهرة: دار الشروق.

- Abou El Fadl, K. (2006). *The Search for Beauty in Islam: A Conference of the Books*. Lanham: Rowman & Littlefield.
- al-Badawi, E. (2014). *The Qur'ān and the Aramaic Gospel Traditions*. London: Routledge.
- Chabbi, J. (2008). Le Coran décrypté: Figures bibliques en Arabie. Fayard: Paris.
- Cuypers, M. (2009). The Banquet: A Reading of the Fifth Sura of the Qur'an. Miami: Convivium.
- Ernst, C. W. (2011). *How to Read the Qur'ān: A New Guide, with Select Translations*. Chapel Hill: University of North Carolina Press.
- Farrin, R. K. (2014). Structure and Qur'anic Interpretation: A Study of Symmetry and Coherence in Islam's Holy Text. Ashland: White Cloud.
- Farrin, R. K. (2015). The Pairing of Sūras 8-9. In R. Meynet & J. Oniszczuk (Eds.), Studi del quarto convegno RBS: International Studies on Biblical & Semitic Rhetoric (pp. 245-264). Rome: Gregorian & Biblical Press.
- Lawson, T. (2009). The Crucifixion and the Qur'an: A Study in the History of Muslim Thought. Oxford: Oneworld.
- Lecker, M. (2004). The Constitution of Medina: Muhammad's First Legal Document. Princeton: Darwin.
- Lecker, M. (2012). Constitution of Medina. In K. Fleet et al (Eds.), *Encyclopedia of Islam, THREE*. Leiden: Brill.

- Marshall, D. (2001). Christianity in the Qur'ān. In L. Ridgeon (Ed.), *Islamic Interpretations of Christianity* (pp. 3-29). London: Routledge.
- Mernissi, F. (1991). The Veil and the Male Elite: A Feminist Interpretation of Women's Rights in Islam. (M. J. Lakeland, Trans.). New York: Perseus.
- Mir, M. (1986). Coherence in the Qur'ān: A Study of Iṣlāḥī's Concept of Nazm in Tadabbur-i Qur'ān. Indianapolis: American Trust Publications.
- Mourad, S. (2011). Does the Qur'ān Deny or Assert Jesus' Crucifixion and Death? In G. S. Reynolds (Ed.), *New Perspectives on the Qur'ān in Its Historical Context* 2 (pp. 347-355). London: Routledge.
- Neuwirth, A. (1981). Studien zur Komposition der mekkanischen Suren. Berlin: de Gruyter.
- Neuwirth, A. (2014). Scripture, Poetry and the Making of a Community: Reading the Qur'an as a Literary Text. Oxford: Oxford University Press.
- Nöldeke, T., Schwally, F., Bergsträsser, G., & Pretzl, O. (2013). *The History of the Qur'ān*. W. H. Behn (Ed.). Leiden: Brill.
- Oakes, W. R. (2014). Toward a contextual, inter-textual and linguistic translation of the hapax legomenon term shubbiha lahum that is found in Sūrat al-Nisā' 4 āya 157. In H. Darir, A. Zahid, & M. Y. Elidrissi (Eds.), *Qur'anic Narratives and the Challenges of Translation* (pp. 146-168). Irbid: Modern Books' World.
- Rubin, U. (1985). The 'Constitution of Medina': Some Notes. *Studia Islamica*, 62, 5-23.

- Saleh, W. (2010). Review of Muhammad is Not the Father of Any of Your Men: The Making of the Last Prophet, by David S. Powers. Comparative Islamic Studies, 6, 251-264.
- Singer, I. (Ed.). (1906). *Jewish Encyclopedia*. New York: Funk and Wagnalls.
- Wadud, A. (1999). *Qur'an and Woman: Rereading the Sacred Text from a Woman's Perspective*. Oxford: Oxford University Press.
- Warrach, Y. (2015). Analyse rhétorique de la sourate de la Lumière (24). In R. Meynet & J. Oniszczuk (Eds.), Studi del quarto convegno RBS: International Studies on Biblical & Semitic Rhetoric (pp. 265-281). Rome: Gregorian & Biblical Press.
- Watt, W. M. (1962). *Muhammad at Medina*. Oxford: Oxford University Press.
- Zahniser, A. H. M. (1997). Sūra as Guidance and Exhortation: The Composition of Sūrat al-Nisā'. In A. Afsaruddin & A. H. M. Zahniser (Eds.), *Humanism, Culture and Language in the Near East: Studies in Honor of Georg Krotkoff* (pp. 71-85). Winona Lake: Eisenbrauns.
- Zahniser, A. H. M. (2000). Major Transitions and Thematic Borders in Two Long Sūras: al-Baqara and al-Nisā'. In I. J. Boullata (Ed.), Literary Structures of Religious Meaning in the Qur'ān (pp. 26-55). Richmond: Curzon.

